

عصمة الأنبياء في القرآن الكريم

(127) يكون معنى قوله: (هذا ربّي) مجرد فرض لا إذعان قطعي، وليس مثُل هذا غير لائق بشأن الأنبياء . وفي هذا الصدد يقول السيد المرتضى - جواباً عن السؤال -: إنّه لم يقل ذلك مخبراً، وإنّما قال فارضاً ومقدّراً على سبيل الفكر والتأمّل. ألا ترى أنّّه قد يحسن من أحداً إذا كان ناظراً في شيء وممثلاً بين كونه على إحدى صفتيه أن يفرضه على أحدهما لينظر فيما يوّدي ذلك الفرض إليه من صحة أو فساد، ولا يكون بذلك مخبراً عن الحقيقة، ولهذا يصح من أحداً إذا نظر في حدوث الأجسام وقدمها أن يفرض كونها قديمة ليتبين ما يوّدي إليه ذلك الفرض من الفساد. (1) وقد روي هذا المعنى عن الإمام الصادق (عليه السلام) حيث سئل عن قول إبراهيم: (هذا ربّي) أشرك في قوله: (هذا ربّي)؟ فقال (عليه السلام): "لا، بل من قال هذا، اليوم فهو مشرك، ولم يكن من إبراهيم شرك، وإنّما كان في طلب ربّه وهو من غيره شرك". (2) وفي رواية أخرى عن أحدهما (الباقر والصادق (عليهما السلام)): "إنّما كان طالباً لربّه ولم يبلغ كفراً، وإنّّه من فكّر من الناس في مثل ذلك فإنّه بمنزلته". (3) غير أنّ هذا الفرض ربّما لا يكون مرضياً عند بعض العدلية، لأنّ الأنبياء منذ أن فطموا من الرضاع إلى أن ادرجوا في أكفانهم، كانوا عارفين بتوحيده سبحانه ذاتاً وفعلاً، خالقاً وربّاً، ولو كان هناك إراءة من الخليله كما في قوله: (وكذلك نرى إبراهيم) كانت لزيادة المعرفة وليكون من الموقنين. _____ 1 . تنزيه الأنبياء: 22، 2 و 3. نور الثقلين: 1|610 - 611، الحديث 149 و 150 و 151.